

باب تمهيدى

يتفق الناس جميعاً المؤمن منهم والملحد، والعالم والجاهل على حقيقة اعتبار أن الروح هى السر الإلهى الذى يضى علينا الحياة، والتى بغيرها يتحول الكائن الحى إلى جثة هامة، سرعان ما تبلى وتعود إلى مصدرها الأول وهو أديم هذه الأرض فالبعض يؤمن إيماناً راسخاً بخلود الروح، وإمكان اتصال الأحياء بموتاهم، وبالظواهر الروحية المختلفة كالطرح الروحى، والتجسد، وغيرها ١٠

أما الفريق الثانى فهو من الماديين المغرقين فى المادية، وأولئك ينكرون هذه الأنشطة الروحية ويرفضون التسليم بصحتها. ولقد أعان ظهور النظرية الوضعية فى القرنين ١٧، ١٨ على دعم رأيهم. فقد وضعت هذه النظرية كصمام أمن لمنع نفاذ المعتقدات الباطلة إلى مجال العلوم، فهى تستلزم - لإضفاء صفة الحقيقة العلمية - وضع المعلومة محل البحث موضع التجريب وثبوت صحتها. ولكننا نعلم أن الدراسات فى علم الروح الحديث، بل جميع الدراسات الإنسانية تختلف عن العلوم المادية، من حيث تداخل عوامل غير منظورة تؤثر فى نتائج التجربة، كتوفر المجال اللازم لتحقيق الاتصال الروحى، أو صلاحية الوسيط، والذى يتوقف أيضاً إلى حد كبير على قدرة الروح (النفس وكما سيأتى شرحه بعد) ذاتها ورغبتها فى التعاون مع الوسيط.

وهناك فريق ثالث يمثل الجمهور من الناس، ينكرون بدورهم الروحية - (دون تبصر أو دراسة) ويرفضون - استسهالاً - الخوض فى البحوث الروحية، لأن الموت فى اعتقادهم يعنى الفناء والعدم المطلق إلى أن تقوم الساعة ويبعث الله سبحانه وتعالى الموتى فى الحياة الأخرى. بل ما هو أكثر من ذلك ينظرون إلى الظواهر الروحية، نظرة المتشكك المرتاب، لتشابهها فى أذهانهم مع بعض الغيبيات التى تستخدم فى أعمال الشعوذة والدجل، كتحضير الجان والسحر، وما شابهها، وليس هذا بالشىء المستغرب، فالناس كافة يميلون بطبيعتهم إلى التسليم بالأمر الذى ألفوها فى حياتهم وإلى نبذ وتكذيب كل ما يخالفها أو يغير من مفهومها أو كنهها، دون أن يكلفوا أنفسهم عناء الخوض فى خضم العلوم وسبر أغوارها، وصدق الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه: (الناس أعداء لما يجهلون).

كما يتفق علماء الروح الحديثون على دخول الظواهر الروحية مجال البحث العلمى فى النصف الأول من عام ١٨٤٨ عندما ضج سكان حى هايدز فيل بمدينة روشستر بولاية نيويورك بالشكوى وملأهم الرعب لحدوث بعض الظواهر الخارقة للطبيعة، كحدوث طرقات قوية وسماع أصوات غريبة ليس لها مصادر مادية وظهور أشباح واختفائها.. الخ. وإزاء تأكد السلطات المحلية لصحة هذه الظواهر وعجزهم عن بيان مصدرها، قام المسئولون بتشكيل لجنة تضم مجموعة من العلماء لبحث هذه الظواهر ووضع تقرير عنها. وبعد دراسة هذه الظواهر دراسة متأنية انتهت اللجنة إلى نسبة هذه الظواهر إلى كائنات غير منظورة، ورجحت أن تكون هذه الكائنات أرواح بعض الموتى. ونظراً لعدم اقتناع المسئولين بصحة الرأى الذى انتهت إليه هذه اللجنة قاموا بتشكيل لجنة ثانية ثم ثالثة، وانتهى الرأى فى جميعها إلى نسبة هذه الظواهر إلى العالم غير المنظور الذى يعيش فيه موتانا من البشر.

ولقد كان من نتائج هذه التقارير أن تدخل علماء آخرون من المعارضين، بغرض إثبات خطأ هذه اللجان وقاموا بأنفسهم ببحث هذه الظواهر، ولكنهم تحققوا بدورهم من صحة ما جاء بتقرير هذه اللجان، وأثبتوا ذلك فى مؤلفات نشرت لهم فى هذا الخصوص. ومن أهمهم العالم روبرت هير Robert Hare وكان أستاذاً شهيراً للكيمياء بجامعة بنسلفانيا وله مؤلف «تحقيق تجريبى فى الظواهر الروحية» والعالم جون وورث إدموندز John Worth Edmonds الذى عين بعد ذلك رئيساً للمحكمة العليا بنيويورك، وكتب تقريراً فى جريدة نيويورك كورير متضمناً أسماء العلماء العشرة الذين استعان بهم فى موضوع الظواهر الروحية فى هايدز فيل، كما أصدر مؤلفه فى الروحية Spiritualism بالاشتراك مع ناثانيل تالمادج Noth ANIEL Talmadge ومن بين العلماء أيضاً جميس مايس James Mapes عضو المجمع العلمى الأمريكى، ونشر نتيجة بحثه فى هذا الموضوع.

وكان من نتيجة هذه التقارير والمؤلفات أن تطاير الخبر إلى كثير من الدول وخاصة الأوربية، وكان الاهتمام فى إنجلترا كبيراً جداً إلى حد أن أصبحت الجلسات الروحية هى الشغل الشاغل للعائلات هناك، وتقدم كثيرون إلى «جمعية الفكر المنطقى» بلندن لبحث هذا الموضوع. وعلى أثر ذلك شكلت الجمعية لجنة علمية سنة ١٨٦٩م من أربعة وثلاثين عالماً من أشهر العلماء فى العالم فى زمانهم والذين لا يرقى الشك أبداً إلى صحة آرائهم بهدف إثبات أن الظواهر الروحية مجرد بدعة من الخيال والقضاء عليها نهائياً - ويجدر الذكر أن من هؤلاء العلماء عالم البيولوجى الشهير سير الفريد والاس Alfred Wallace

عضو الجمعية الملكية لتقدم العلوم بلندن، والعالم سير جون لايوك John Lubbock عضو الجمعية الملكية أيضاً لتقدم العلوم بلندن والعالم شارلز برالون Charlas Bralough العالم فى العلوم العقلية والعالم الشهير جداً وليام كروكس William Krooks الذى كان رئيساً للجمعية الملكية لتقدم العلوم - وعلى الرغم من أنه كان من المقرر أن تنهى اللجنة أعمالها خلال بضعة أسابيع إلا أنها استمرت فى عملها ثمانية عشر شهراً تقريباً، قامت خلالها بكثير من التجارب والبحوث مستعينة بوسطاء غير محترفين، وآخذة فى اعتبارها مراعاة الدقة التامة، واتخاذ كافة الاحتياطات اللازمة لمنع أى خطأ أو تدليس.

وفى عام ١٨٧١ م قدمت اللجنة تقريراً فى خمسمائة وعشرين صفحة، منتهية فيه إلى أن جميع العلماء أعضاء اللجنة الذين كانوا عند بدء تشكيلها ينفون إمكان حدوث ظواهر غير طبيعية، قد تحققوا بأنفسهم من حدوث ظواهر عديدة غير مألوفة، كروية أوجه أو أجزاء من أجسام أشخاص غير أحياء، وأيضاً سماع أصوات صادرة من كائنات غير منظورة، وكذا إحضار مجلوبات من الخارج إلى داخل الغرفة المغلقة التى تتم فيها التجربة.

وبالإضافة إلى ذلك تضمن التقرير حدوث كتابة مباشرة، وكذا ارتفاع بعض الأجسام الصلبة أو قطع الأثاث بغير تدخل أحد من الحاضرين، وأيضاً عبارات تتعلق بإمكانية العلاج الروحى. إلى غير ذلك.. وانتهى التقرير بتوصية اللجنة بضرورة الاهتمام ببذل المزيد من البحوث فى هذا الموضوع المهم والخطير.

ولقد كان لهذا التقرير أثره البالغ فى تكالب العلماء والباحثين على إجراء التجارب والبحوث، ووضعوا خبراتهم فى كثير من المؤلفات التى أصدروها فى هذا الخصوص. ولم يقف الأمر عند ذلك بل أنشئت الجمعيات الروحية فى كثير من الدول، ولا تزال هذه الجمعيات تصدر مجلات علمية تتضمن آخر ما تم التوصل إليه فى هذا المجال.

وكان لما يحدث فى الغرب من أبحاث علمية ودراسات تجريبية دقيقة من كبار العلماء للروحية وظواهرها أصدائه بطبيعة الحال فى مصر حتى منتصف السبعينات تقريباً من القرن العشرين.. إذ تجمع فى تلك الفترة (١٩٠٠ - ١٩٧٥) على قيد الحياة فى مصر أكبر عدد من نخب مفكرىها وعلمائها وفلاسفتها وأدبائها وشعرائها ومثقفىها وفنانيها.. وقاموا بدراسة ما يحدث فى الغرب دراسة متأنية، رغم المعارضة الشديدة من كثير من أنصاف المثقفين والمتزمتين.. إما بزعم مخالفة ذلك للدين، أو بوصف ما يحدث من ظواهر روحية.. الخ نوعاً من التوهم والخيال يأباهما

المنطق والعقل.. ولكن قد أعان هؤلاء العلماء على مواجهة هذا التيار المعارض، وجود جذور عميقة لهذا الموضوع في الأمة العربية عدد من علمائنا الجليلون الأوائل وتشهد بها مؤلفاتهم. ومن هؤلاء العلماء الأئمة الغزالي وابن القيم والبقاعي.. وغيرهم التي تدل جميع مؤلفاتهم على صحة الظواهر الروحية، وأن البحث في الروح من العلوم التي يجب أن تنال عناية العلماء.

وهو ما أكد عليه أيضاً تلك النخبة من علمائنا في تلك الفترة المشار إليها من القرن العشرين ومنهم الشيخ طنطاوى جوهرى الذى كان يحث علماء مصر ومفكرىها ومثقفىها على الاهتمام بالعلوم الروحية التي لم يعد هناك شك في صحتها، وعدم معارضتها للأديان السماوية ومن ذلك ما قاله في مؤلفه «كتاب الأرواح» الذى نشر في عام ١٩٢٠: (فهل نقف أمام هذه الأحداث صامتين؟ إنه لعبيب فاضح وخطأ واضح وشين بين. نحن أحق بهذا العلم من الغربيين إن الأمر لجلل يعوزه كتب تؤلف ومجامع تحشد وعلماء تنتقد، أنا لست في كتابي هذا أثبت العلم الروحي فحسب، فلقد سبقني إليه من نشروا الفكر وأذاعوا أمره.. ولكنى أجد ذلك يطابق ما نص عليه الغزالي وغيره بطريق الكشف).

والشيخ أحمد حسن الباقورى الذى يؤكد على صحة علم استحضار الأرواح ويوجه اللوم لمن ينكرون ذلك لجهلهم بأصول هذا العلم إذ يقول في كتابه «عالم الروح» من ١٧، ١٨: (ومهما أنكر المفكرون استحضار الأرواح والتنويم المغناطيسى. فإنهم في هذا الإنكار لا يستندون إلى حجة ولا يقترون بمنطق وكل ما يسوغون به إنكارهم أنهم لم يطلعوا على ما أثبتته الباحثون، وهو تسويغ لا يلجأ إليه عاقل ولا يرضى به من يؤثر الإنصاف على الجور والاعتساف).

هذا وقد حمل بالفعل لواء البحث في العلوم الروحية علماء مصريون أفاضل. كان لهم فضل الريادة في مجال البحث الروحي، نخص بالذكر منهم المرحومين الأستاذ/ أحمد أبو الخير الذى أسس جمعية الأهرام الروحية وله عدة مؤلفات وكتب مترجمة في هذا الموضوع، والأستاذ الدكتور/ رؤوف عبيد الذى كان أستاذاً للقانون الجنائي ووكيلاً لكلية الحقوق بجامعة عين شمس ومن أهم مؤلفاته (الإنسان روح لا جسد) وهو كتاب علمي بكل المقاييس، ويضم الكثير من التجارب العلمية التي قام بها علماء غربيون في بلادهم، أكثرهم من أساتذة الجامعات الأجنبية في التخصصات المختلفة. كالطب والفلسفة والفيزياء والكيمياء والهندسة وغيرها.

والأستاذ الدكتور/ على عبد الجليل راضى أستاذ الفيزياء الشهير بكلية العلوم جامعة عين شمس وترأس جمعية الأهرام الروحية فترة ازدهارها ومن أهم مؤلفاته: أعرف روحك، وأنت تحيا بعد الموت « ٣ أجزاء».. الخ.

والأستاذ الدكتور/ مصطفى الديوانى الذى كان أستاذاً بكلية الطب بجامعة القاهرة ووكيلاً لجمعية الأهرام الروحية.. وصاحب المقالات والمحاضرات والندوات العديدة فى مجال العلوم الروحية.

والأستاذ الدكتور/ سمير الشناوى مؤلف كتاب «بعد الموت تبدأ الحياة فى عالم غير منظور - أدلة من العلم والدين» الذى عنى عناية كبيرة فى هذا الكتاب بأن يحقق التقاءً موضوعياً بين النصوص الدينية والحقائق العلمية الثابتة فى مجال العلوم الروحية.

ولقد بذل هؤلاء وغيرهم - ممن لا يتسع المجال لذكرهم جميعاً - جهوداً مشكورة فى نشر الوعى بالعلم الروحى عن طريق مؤلفاتهم ومقالاتهم وندواتهم العديدة. ووضع ترجمات لكثير من الكتب الأجنبية فضلاً عن إلقاء محاضرات وعقد اجتماعات وحوارات وجلسات روحية بحضور العلماء والوسطاء والأجانب الذين دعوا لزيارة مصر خصيصاً لحضور وعقد هذه الاجتماعات والجلسات..

ولقد كانت الآمال معقودة على استمرارية هذه البحوث والدراسات الروحية ونشر الوعى بها فى مصر وإنشاء العديد من الجمعيات الروحية لتباشر مهامها فى محافظات مصر المختلفة تواكباً مع تقدم هذه العلوم وإضطراد تطورها بشكل مذهل فى الغرب - غير أنه للأسف الشديد تراجعت الأمور بشكل مذهل غريب وغير مسبوق فى أية دولة فى العالم خاصة بعد وفاة أولئك الرواد إلى حد أن ألغيت جمعية الأهرام الروحية لعدم الاهتمام باستيفاء المتطلبات والإجراءات القانونية لاستمرارها - مما أدى إلى اتساع الفجوة بيننا وبين ما وصلت إليه بحوث ودراسات علماء الغرب إلى أكثر من قرن من الزمان على رغم أن أرضنا هى مهبط الرسالات السماوية ومهبط الروح فيها ونحن أحق بكثير بهذه العلوم الروحية منهم ليتسنى لنا الدعوة على علم متكامل لهذه الرسالات وقيمتها وأخصها وخاتمتها الرسالة المحمدية بما تحمله من دلائل عظمة وإعجاز.

وفى الواقع أننى كنت حتى عام ١٩٩٦ واحداً من هؤلاء الكثيرين الذين ينكرون من غير علم أو دراسة - فكرة الجلسات الروحية وإمكان اتصال الأحياء بالأموات. لأن الموت فى اعتقادى كان يعنى العدم انطلق، إلى أن تقوم الساعة ويبعث الله الموتى فى الحياة

الأخرى - إلى أن دعانى فى برلين أحد الأصدقاء الألمان من أصل مصرى - وهو من المثقفين المشهور لهم بإتقان الترجمة من العربية إلى الألمانية أو العكس سواء فى أوساط الجاليات العربية أساط المثقفين الألمان - عندما كنت أحد أعضاء البعثة التمثيلية المصرية هناك لحضور إحدى الجلسات الروحية وتكررت هذه الدعوة مرة أخرى بعد حوالى شهر من الأولى وقد ساعدنى إتقان صديقى هذا للألمانية لفهم الكثير مما يدور حولى فى هاتين الجلستين - وفيما دار بعد كل منهما من نقاش وحوارات بينى وبين بعض المثقفين الألمان ومنهم أساتذة جامعة ومحامون وأطباء حول ما شاهدناه وسمعناه - وعلى أية حال فلقد خرجت من هاتين الجلستين وما دار حولهما من استفسارات وحوارات إلى تراجعى كثيراً عن الإنكار وضرورة التعرف إلى هذا العلم الحديث ومتابعة ما يجرى فيه.. وربما أيضاً قد شجعنى على هذا التراجع ما قرأته فى مؤلف الشيخ طنطاوى جوهرى «كتاب الأرواح» الذى صورته فى برلين بعد استعارته من صديق ألماني آخر من أصل مصرى إذ يقول ضمن ما يقول عن أهمية دراسة الروح فيقول: (هذه الدراسة سلوى المحزونين، وإيقاظ الغافلين، وتعليم الجاهلين واتباع الإيمان باليقين، ورفق الأخلاق، وتقليل النفاق، وضعف الشقاق، وذهاب الأحقاد والوثوق بحياة جديدة، فلا يقزع الناس أشد الفزع من الممات، ويقى بكاء الباكيات، ويسهل احتمال النكبات وأشد الأزمات..).

كما قد يكون ما شجعنى أيضاً ما قرأته وسمعته آنذاك عن الدراسات الروحية ومنها أنها دائرة للمعارف تعين على فهم حقيقة النفس البشرية ومدى اتصالها بالبدن وتأثيرها فيه وتأثرها به، وبصفة خاصة من حيث تأثير العقل فى المادة، بالإضافة إلى أنها المصدر الوحيد للوقوف على قدرات الروح الحسية عن غير طريق الحواس، وهو ما درجنا على تسميته بالحاسة السادسة، كما تعنى هذه الدراسة أيضاً بعلاج بعض الأمراض النفسية والعصبية التى ترجع إلى أسباب روحية.. كما أنها من حيث كونها دراسة روحية فإنها تقوم على مبادئ سامية اتفق علماء الروح عليها، واستقرت فى وجدانهم حتى أصبحت دستوراً لهم فى وضع وتنفيذ مناهج بحثهم وأهم هذه المبادئ التى وردت عرضاً فى معظم المؤلفات الروحية (هانن سوافر «قصتى العظمى») هى:

١ - الإيمان بالله رب العالمين.

٢ - أخوة الإنسان للإنسان.

٣ - صحة الاتصال بالأرواح وجدواه فى تعزيز الإيمان وبث الطمأنينة.

٤ - دوام حياة الروح الإنسانية.

٥ - التسليم بمسئولية الإنسان الخلقية عن أفعاله.

٦ - استحقاق الإنسان للثواب والعقاب لجميع الأفعال الخيرة والشريرة التي تصدر عنه.

٧ - التأكيد على أن باب التقدم والارتقاء موجود ومفتوح بصفة أبدية لكل نفس بشرية.

مما زاد في قناعتى من أن تشدد الكثيرين مع العلوم الروحية - دون بحث أو دراسة - يرجع أيضاً إلى بعض المعتقدات الدينية الخاطئة لديهم، مما يدعوهم إلى رفض وتكذيب كل ما يعرض عليهم بغير دليل - خاصة بعد ما أخذت أستوثق من صحة ما أقرأ بالرجوع إلى العديد من المراجع الأجنبية والعربية وكان من أهمها إحياء علوم الدين: للإمام أبي حامد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ وكتاب الروح لأبن القيم المتوفى عام ٧٥١ هـ فقد وصل هذان العالمان منذ قرون إلى معظم الحقائق العلمية التي أثبتها علماء الروح الحديثون والتي استمدوها من مرجعين لا يمكن أن يتطرق الشك بهما هما كتاب العزيز «القرآن الكريم» وأحاديث الرسول ﷺ.

وفي عام ١٩٩٨ نقلت إلى قنصليتنا العامة في الكويت لأنضم إلى عضوية بعثتنا الدبلوماسية في الكويت وهناك توليت مسئولية قطاع الأحوال المدنية بالقتصلية وكل ما يتعلق بشئون الجالية المصرية في الكويت بالإضافة إلى مزاولة هوايتي فى الكتابة فى بعض الصحف هناك وخاصة جريدة القبس التي كانت تنشر لى الكثير من المقالات والأشعار مما أتاح لى فرصة التعرف إلى كثير من المثقفين سواء فى الجالية المصرية أم فى الأوساط الكويتية وهم من الغريب كثير فى هذا البلد - على رغم صغر حجمه وقله عدد سكانه - ولا أخفى عليك عزيزى القارئ أن مسألة تتبع الدراسات الروحية فى الغرب وما يجرى حولها وفيها من بحوث كانت لا تزال تشغل حيزاً كبيراً من تفكيرى واهتمامى وقد أدهشنى هناك أن كثيراً من المثقفين الكويتيين على دراية بهذه الدراسات والبحوث أكثر منا بل إن منهم من يعرف عن علمائنا من رواد هذا العلم وعمنا تناولوه أكثر مما نعرف فقد أعارنى الأستاذ/ عبد الله عيسى وهو أحد الصحفيين المعروفين بجريدة القبس ثلاثة كتب فى هذا المجال:

قمت بتصويرها بعد قراءتها للاحتفاظ بموضوعاتها - هى:

١ - «الإنسان روح لا جسد» للأستاذ الدكتور رؤوف عبيد.

٢ - «أنت تحيا بعد الموت» للأستاذ الدكتور على عبد الجليل راضى.

٣ - «على حافة الأثير»: والذى ترجمه الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير.

وهي كتب علمية بكل المقاييس إذا ما طبقت عليها المنهج العلمى فى البحث والتجريب - وتضم الكثير من التجارب العلمية التى قام بها مشاهير علماء الغرب فى بلادهم، وأغلبهم من أساتذة الجامعات فى التخصصات المختلفة. كالتب والفلسفة والفيزياء، والكيمياء، والهندسة، وغيرها.

ولا شك أن هذه الكتب قد جذبت انتباهى وأثارته بشكل كبير لأن التجارب التى أوردتها هذه الكتب قد أجريت كما ذكرت على يد علماء من ذوى الشهرة العالمية فى تخصصاتهم ويتمتعون بمكانة رفيعة فى بلادهم كما تبين لى مما قرأت، بأنه قد تم الالتزام الكامل والدقيق فى هذه التجارب بالأسلوب العلمى سواء فى الإجراءات أم استخلاص النتائج مما يستبعد تماماً أن تكون المعلومات التى وردت منها من نسج الخيال ولا يدع مجالاً للشك فى صحتها.

ولما كانت هذه التجارب قد انتهت إلى ثبوت إمكان الاتصال بأرواح الموتى والتحدث إليها وإلى تصويرها خلال حالات الجسد، فضلاً عن ظهور ملكات وظواهر روحية ووساطية عديدة من خلال هذه الاتصالات فضلاً عن إمكانية علاج بعض الأمراض النفسية والعصبية وإمكان الاستعانة بالأرواح المرشدة فى علاج بعض الأمراض العضوية.. الخ فلقد كان لزاماً على - ترتيباً على ذلك - أن ينتفى لدى تماماً أى مبدأ للرفض أو الإنكار خاصة بعد أن أملى على واجب الحيطة مرة أخرى الرجوع إلى الكثير من المراجع والمجلات العلمية والأجنبية التى جاءت جميعاً تؤيد النتائج المشار إليها مؤكدة على صحتها.

كما ازداد يقينى بأن اهتمامنا فى مصر والعالمين العربى والإسلامى بالعلوم الروحانية يجب ألا يقل عن اهتمامنا بعلوم الطبيعة وغيرها من علوم المادة، فهما جزءان متكاملان من عالم واحد، ويجدر الذكر بأنه قد نادى بهذا المعنى أيضاً منذ أكثر من مائة عام السير أوليفر لودج عالم الفيزياء الإنجليزى الشهير وأحد رواد علم الروح الحديث فى الغرب إذ قال وهو يلقي بياناً له فى المجمع العلمى البريطانى سنة ١٨٩١:

(إن الحد الفاصل بين العالمين المادى والروحى قد أوشك أن ينهار كما انهارت فواصل كثيرة غيره، وبذلك سنصل إلى إدراك تام لوحدة الطبيعة وأن الأشياء الممكنة لا حد لها، كما أن الوجود نفسه لا حدود له ولا نهاية وما تعلمه الآن منه لا يساوى شيئاً بالنسبة لما غاب عنا علمه).

وهنا قد يعذرنى القارئ العزيز مؤيداً إياى فى هذا التساؤل:

أليس هذا ما يؤكد بشكل مباشر ديننا العظيم الإسلام داعياً إيانا دوماً إلى استخدام فكرنا وعقولنا في إمعان التأمل والتبصر في الكون والوجود وما يدور حولنا في العالم؟! وأليس مما يعنيه من ضمن ما يعنيه ديننا العظيم الحنيف أن مقاييسنا العقلية التي استمدت كيانها من معارفنا السابقة لا تصلح في كل الأحوال للحكم الصائب على القضايا والأمور المستحدثة؟! فمن من الناس في العهود السابقة قبل اختراع المسرة والتلفزيون وتطور علم الاتصالات وهندسته كان يصدق إمكان انتقال الصور والأصوات عبر القارات، ومن منا قبل الوصول إلى القمر كان يصدق إمكان غزو الإنسان للفضاء... أو إمكان التحكم عن بعد في الأقمار الصناعية وسفن الفضاء والطائرات التي تطير بلا طيارين؟ وأليس ما نجعله في هذا الكون الغامض وما به من كائنات أكثر بكثير مما عرفناه فيه؟ وأليس من الأفضل أن يكون موقفنا دائماً هو عدم التعجل وتأجيل إصدار الأحكام إلى ما بعد الدراسة والبحث وامتلاك الحجة والدليل كما يحضنا على ذلك ويؤكد عليه ديننا العظيم الحنيف - واضعين نصب أعيننا أنه لا مستحيل على قدرة الله، وأن كل شيء يمكن أن يكون إلى أن يثبت العكس بالدليل القطعي؟

عزيزى القارئ :

لقد ذكرت لك من قبل أنني كنت واحداً من الذين ينكرون - عن غير علم أو بحث أو دراسة - العلوم الروحية، لأن الموت كان في اعتقادي يعنى العدم المطلق، إلى أن تقوم الساعة ويبعث الله الموتى في الحياة الأخرى وأن البحث في العلوم الروحية يتناول أموراً كلها من الغيبيات المحجوبة عنا بحجابين كثيفين، هما الزمان لأنها أمور مستقبلية، والمكان باعتبارها أحداث يجرى معظمها في عالم آخر غير عالمنا المشهود الذى ألفناه ونعيش فيه. فمعرفة مصير الإنسان بعد الموت، وعالم البرزخ.. وما شابه ذلك، كلها أمور لا يتأتى أن يدركها الإنسان بحواسه ذات القدرات المحدودة كما لا يمكن إدراك هذه الأمور بعقولنا لأن إعمال العقل يكون في نطاق المألوف في حياتنا الدنيا وقياساً عليه متصوراً من أجل ذلك أن البحث في هذا الموضوع لا يعدو أن يكون نوعاً من التصور الذى يقوم على الحدس فلا يرقى إلى مرتبة العلم واليقين. ومع التسليم بأن الأصل في هذه الأمور أنها من الغيبيات للاعتبارين السابق ذكرهما، إلا أنه فى الحقيقة قد فاتنى شيء مهم جداً وأساسى هو أنه كان لزاماً على التمييز بين ما هو غيب مطلق وبين ما هو غيب نسبي.

فالغيب المطلق هو الذى لا يعلمه، ولا يتأتى لأحد أن يعلمه إلا الله وحده لقوله سبحانه وتعالى : بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ ﴿٥٩﴾ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا سَقَطَ مِنْ رَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ [سورة الأنعام - الآية ٥٩].

وهذه المفاتيح قد بينها الرسول ﷺ بقوله : (مفاتيح الغيب خمس، إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث، ويعلم ما فى الأرحام، وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً، وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير) أخرجه البخارى فى صحيحه. فهذا الحديث قد حصر الغيب المطلق فى هذه الأمور الخمسة، وهى ذاتها التى حددتها الله تعالى فى كتابه الكريم فى الآية ٣٤ من سورة لقمان:

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ : ﴿٣٤﴾ إِنَّ اللّٰهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ [سورة لقمان - الآية ٣٤].

وعلى ذلك فلا يجوز لأحد ادعاء العلم بشيء منها.

أما ما عدا هذه الأمور الخمسة من الغيبيات، فهى من قبيل الغيب النسبى الذى أتاح الله لعباده مكنة معرفته، فهو غيب بالنسبة لأقوام دون أقوام، أو للبعض دون البعض كقوله عز وجل:

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ ﴿١٠٢﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ [سورة يوسف - الآية ١٠٢].

وكقوله جل وعلا : بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ ﴿٤٤﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَهُمْ أَكْفَلُ مِنْكُمْ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ [سورة آل عمران - الآية ٤٤].

ويستوى أن يكون العلم بها متاحاً لعامة الناس، أو قاصراً على بعض الخاصة كالرسل والعلماء. وفى مجال الغيب جاء أيضاً قوله تعالى : بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ : ﴿٧﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٧﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَيَمْنَعُ خَلْفَهُ رِصْدًا ﴿٧﴾ [سورة الجن - الآيات : ٢٧، ٢٦].

والغيبيات من هذا النوع عديدة ومتباينة، وتشمل كل ما غاب عن حواسنا فلم تدرك

عقولنا كنهه أو حقيقته. وقد نهانا الله أن نقف أمام هذه الغيبيات معصوبى الأعين مغلقى العقول، بل أمرنا أن نفكر ونتدبر فى كل ما يتعلق بحياتنا لكى نستخلص منها القوانين الدقيقة التى وضعها سبحانه لتحكم هذا الكون وسننه التى تنظم هذا الوجود - وسبحان من أنزل هذا الكلام:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة الذاريات - الآيات ٢٠، ٢١].

وهكذا يتسنى للعلماء - بفضل الله وتوفيقه - أن يطرقوا بعقولهم العديد من المجاهل التى يزخر بها هذا الكون وما خلق الله فيه، فتجلت بذلك أمام أنظارنا قوانين تزيدنا إيماناً وتسليماً بوحداية الخالق وعظيم قدرته.

وإذا كان البحث لازماً فيما لم يرد فيه نص، فهو فى موضع النص أهم وألزم. فأيات القرآن جاءت جامعة شاملة لكل ما فى الوجود من معارف وعلوم، كما تناولت الحياة الإنسانية منذ بدء الخليقة حتى قيام الساعة، وما يصير إليه الناس فى الحشر والحساب، وما أعد الله لهم من ألوان النعيم والعذاب. ولقد أمرنا الله تعالى أن نتدبر آيات القرآن كلها لنقف على مدلولاتها ونستخلص ما وراءها من حكمة فى قوله جل وعلا: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِن عِندِ عَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [سورة النساء - الآية ٨٢].

وإذا علمنا أن الآيات التى تناولت حياة الإنسان بعد الموت وما نلقاه فى الحياة الأخرى قد تجاوزت ألف آية، لأمكننا أن ندرك بوضوح أن هذه الحياة - وإن كانت من الغيبيات - إلا أن الله أراد أن يطلعنا على الكثير من أحكامها لنزداد رغبة فى طاعته، ورهبة من ارتياد طرق المعاصى والآثام وما علينا إلا أن نتدبر هذه الآيات فى أناة وروية، لأن فيها الهداية والبشارة والنذر - ورحم الله الإمام الغزالي عندما أدخل الإلمام بهذه الأمور الغيبية فيما أسماه بعلم المكاشفة وهو علم الصديقين والمقربين وبه تحصل المعرفة الحقيقية بالله جل وعلا وصفاته الباقيات التامة، وبأفعاله وحكمه فى خلق الدنيا والآخرة، ومعرفة عذاب القبر والحياة الأخرى، والصراط والميزان والحساب والجنة والنار.. إلى غير ذلك (إحياء علوم الدين - ج ١ - دار الغد العربى ١٩٨٩ ص ٣٤).

وسبحان من أنزل هذا الكلام:

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝١ ﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٠ ﴾ [سورة الإسراء - الآيات ٩ ، ١٠].

ويجدر الذكر هنا عزيزي القارئ أيضاً أن من الاعتراضات التي قد يثيرها البعض على الدراسات الروحية :

١ - أنها دراسات لا جدوى كبيرة حالياً من ورائها، وبكفيينا منها ما قدمه لنا مفسرون الأوائل، كابن سينا، والإمام الغزالي، وابن القيم.. وغيرهم.

٢ - أن أى دراسة أو كتاب يصدر حالياً فى مصر أو الوطن العربى فى صميم العلوم الروحية، ويقتصر على الشرح النظرى والتجارب التى تجرى فى الغرب، لن يحظ باهتمام القارئ العربى. لأن هؤلاء القراء والمطالعين يريدون على الأقل أدلة قاطعة تتردد أصدائها فى الوطن من أشخاص معروفين لهم ويتمتعون بثقتهم حتى يحملهم ذلك - بصفة مبدئية - على الإيمان بالروحية والتصديق بها.

وللرد على ذلك يلزم توضيح بعض الأمور بالتالى:

١ - أن الدراسات الروحية - حسبما ورد فى كتاب الله العزيز - علم ونحن مأمورون بالاستزادة فى العلوم فى مختلف المجالات دون استثناء ﴿ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ، وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۝١٣٠ ﴾ [سورة طه - الآية ١١٤]. ﴿ أَمْ مَنْ هُوَ قَنِيتُ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝١ ﴾ [سورة الزمر - الآية ٩].

لأن التعليم والتعلم من الأشياء النافعة نفعاً محضاً، فهى مغنم فى ذاتها ولا تقاس أهميتها بمغانم أخرى ومن أجل ذلك لا يجوز أن يقف العلم عند عصر من العصور، والإلاكتيفينا فى الطب بدراسات ابن سينا وفى الكيمياء بما توصل إليه ابن حيان، وهكذا - وإن قيمة الدراسات العلمية تتضح جلياً بما تؤدى إليه من نتائج. لذا فإننا يجب ألا نتوقف عن مواصلة البحث والدراسة حتى لو فشلت بعض بحوثنا فى تحقيق بعض النتائج التى نرجوها فإن جهود العلماء المتواصلة وفشلهم تارة ونجاحهم تارة أخرى هى التى طورت الحياة على الأرض - ويجدر الذكر هنا فيما يتعلق بتطوير الدراسات

الروحية فى الغرب أن هذه الدراسات والبحوث التى أجريت عليها قد أدت إلى انتشار العديد من المستشفيات والمراكز العلاجية فى الغرب والدول المتقدمة ونجاحها فى علاج مئات الآلاف من المرضى وأننا أحوج بكثير جداً لها من الغرب.

٢ - أما فيما يتعلق بكون الدراسات الروحىة التى سنقدمها أساساً على الشرح النظرى والتجارب التى تجرى فى بلاد الغرب لا فى بلادنا مما يقلل من اهتمام القارئ العربى إذ أنه يريد أدلة قاطعة تتردد أصدائها فى بلادنا من أشخاص معروفين لهم ويتمتعون بثقتهم حتى يحملهم ذلك على الإيمان بالروحىة والتصديق بها - فإننى أود الإحاطة للرد على ذلك بما يلى :

(أ) إننى أتفق تماماً مع مطلب دخول الدراسات الروحىة البحث التجريبي فى مصر - وهو ما كان موجوداً فى مصر فعلاً عندما كانت هناك جمعية الأهرام الروحىة وقيل رحيل رواد هذا العلم فى مصر من أمثال أ. د/ رؤوف عبيد، أ. د/ أحمد أبو الخير، أ. د/ على راضى، أ. د/ مصطفى الديوانى.. وغيرهم وإلغاء جمعية الأهرام لأسباب إجرائية وإدارية - كما تقدم شرحه..

وعلى أية حال فإن تحقيق هذا المطلب بصفة فورية ينطوى على عدم المعرفة الكاملة بواقع علوم ما وراء الطبيعة، فهى ليست كعلوم الطبيعة التى يمكن إثباتها فى المعمل بإمكانيات محدودة، وإعادة التجربة كلما عن لنا ذلك، والحصول على ذات النتيجة فى كل مرة. إن نجاح التجارب فى الأبحاث الروحىة يتوقف على عوامل كثيرة - كما سنعرض له فيما بعد - ولعل من أهمها إيجاد الشخص الذى تتوفر لديه قدرات وساطية تمكنه من الاتصال بالجانب الآخر. وليس معنى ذلك أنه لا يوجد هؤلاء الوسطاء فى مصر أو فى الوطن العربى، بل إنهم موجودون وبوفرة، وكل ما فى الأمر أنهم لا يدركون هذه الملكات فى أنفسهم، ويلزمهم شيء من التدريب والممارسة. ولكن لا سبيل للاستدلال على هؤلاء للاستعانة بهم، إلا بنشر الوعى بالدراسات الروحىة وإنشاء جمعيات روحىة تنشر الوعى الروحى بالوسائل الممكنة المتاحة، من أجل حمل من يحسون بأن لديهم مواهب وقدرات روحىة كامنة التقدم لاختباراتهم الوساطية. وإلى أن يتم ذلك ستظل دراساتنا مقصورة على الجانب النظرى مع ثقل تجارب الغرب فى هذا الخصوص.

(ب) ولا يعنى هذا التقليل من أهمية الدراسات الروحىة التى تتم بهذا الأسلوب، فدراسة الظواهر الروحىة - فى حد ذاتها - من شأنها أن تفتح أمام القارئ، آفاقاً

جديدة من المعرفة فى كل المجالات بصفة عامة، وفى مجال العلوم الدينية على وجه الخصوص. فكثير من الحقائق الواردة فى الديانات السماوية وخاصة فى القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة تتضح أبعادها أكثر إذا سلمنا بأهمية الدراسات الروحية وتعرفنا إلى الأرواح وخصائصها، وأنها كائنات حية ذات أجسام أثيرية تملأ الفراغ من حولنا وتتميز بالخلود إلى يوم البعث.. وأنها تتمتع بدرجات اهتزاز عالية لذا نعجز عن إدراكها من خلال أجسامنا المادية ذات القدرات الحسية المحدودة - وهو ما سيتم شرحه تفصيلاً فيما بعد.

(ج) إن ما سنتناوله فى أبواب هذا الكتاب للتعرف إلى أحكام الحياة والموت، وما عساه أن تكون عليه أجسادنا الأثيرية عند النوم وعند الموت فى البرزخ، وأهم الظواهر الروحية وخاصة عند الكلام عن العالم الأثيرى، والظواهر الوسطية التى تندرج تحت علم ما وراء الطبيعة «علم الروح الحديث» والتى اعد همزة الوصل بين عالمين، هما المادة حيث نعيش نحن الأحياء، والعالم الأثيرى حيث توجد أرواح موتانا.. قد ورد فى شأنه آيات عدة فى القرآن الكريم فضلاً عن الأحاديث النبوية الشريفة ولا شك لدى الجميع مزيداً من الإقناع والافتناع وبسد الفجوة الموجودة حالياً نتيجة الافتقاد إلى الجانب التجريبي حالياً فى مصر فى مجال الدراسات الروحية.